و يقول اكبر عدا النفس ذكر الله تعالى لو اتركه ساعة لم استطع ثم يضرب مثل الحوت اذ كان في البحر محبوسة في ذلك فاذا فارقه مات فالذكر حيوة المومن ما دام يذكر الله تعالى فهو حي فاذا ترك الذكر فهو ميت وكان في قيام الليل قد يشتمل الختمة في ركعتين وربما يردد الاية في ركعة و يبكي حتى يصبح ومن شاهده شاهد عينه كان اثار البالي من البكا واما الصلوة فاذا دخل فيها فهو يستغرق الفكر فيها ويقبل اليها الاقبال الكلي حتى لو وقع اي حادث قريب منه لم يشعر به ولا رايت احدا من ارباب العلم يحسن الصلاة مادام النبويه على الوفا والكمال مثله ومن صلى بعده لم تطل الصلاة مع غيره بحيث يدرك المصلي بعد تقضي الصلوة من النشاط والاقبال الى الله تعالى والخشوع ما لا يدركه اذا صلى منفردا او بعده غيره واذا دخل في الصلوة ظل مضطرب فيها من الخشية والبكا مع كمال حفظ النفس من المخالفة المشروعة فهو شبيه بما ورد في صفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه كان اذا صلى كان له ازيز كازيز المرجل وقد شاهدت منه هذه الصفة كثيرا وكان صافي السريرة صادق اللهجة ويقول الصدق هو الايمان لان من صدق في قوله كان كلامه لا يرد وما انصف القران العظيم بالاعجاز الا كونه صدقا لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ومن كان صادقا في القول صدق في الفعل مع الله تعالى لانه يهدي الى البر كما ورد في الحديث وكان يقول الناس ما عرفوا قدر نفوسهم تذهب و فاتهم فيما لا ينفع فيه من المحادثة الفارغة مع الاحباب والاخوان والاسهال عن الخير فيقال ملات قال فلان والعاقل من اشتغل بعمارة وقته فان الانفاس معدوده ومحاسب في كل نفس بطاعة وكان لا يحتقر احدا من المسلمين ويقول اخفى الله تعالى اولياءه في عبادة المسلمين كما اخفى رضاه في طاعته وسخطه في معصيته وكان يقول معاصي الله تعالى كلها كبائر ما فيها صغيرة لان العظيم عظيمة عظيم ومن عرف الله تعالى حق معرفته ما عصاه وما يعصيه الا جاهل به ولا تنظر الى صغر الذنب في عينك ولكن انظر من عصيت وتصور عظمته نعلم ان التجري عليه كبيرة لان نفسك وما ركبت فيها كلها من نعمة الله تعالى عليك وفي اخر مدته خرج من مكة المشرفة الى اليمن وكان سفره من الليث نزل ببندر جازان وارتحل الى الحديده وكان تلقى سيده الى زبيد وتلقاه شيخنا الحافظ عبد الرحمن بن سليمان وانزله في بيته وتلقاه بالاكرام البالغ والاجلال ولا يعرف الفضل لذي الفضل الا اهله كما لرجال ونام مده هناك وكان خروجه من مكة سنة ثلثة واربعين بعد المائتين والالف وكان مدرسا قامته بزبيد ينثر على المستفيدين درر الفوائد ويبد عليهم من لطائفه مواهب هي اليمن مالا قامه فيه ووفد اليه كل عالم وقيدوا عنه جمله من معارف المسائل واجلالهم كثيرا من المشكلات لا سيما في علوم الطايفه الصوفيه حتى ترجح له المسير نحو الشام واشتهر مسيره اليها تاهدوه وكانت اقامته بمدينة صبيا وكانت ايامه محط رحال الفضلا ومجمع العلما وكل جهة حتى قال في ذلك شيخنا السيد الامام محمد بن عبد الكريم مخاطبا له

شرفت صبيا بكم فغدت ... مورد للعلم والنزل
ليت شعري مالي فعلت ... فعلت قدرا على زحل

وكان وصوله اليها سنة خمس واربعين بعد المائتين والالف واقام بها الى عام وفاته بها وقد وقفت بين يديه بسنوات ارتضع منه اخلاف المعارف واقتطف من ازهار علومه اللطائف وانتهلت من علوم الطريقه وحيدي الاسحار تلك الحقيقة وبه عرفت اصلاح القوم في تلك الطرايق وتطبيقها على الشرع المحمدي من غير غلو ولا تقصير واخذت عنه ماله من الاوراد والاحزاب والمواعظ واكد وايقا وما سلكت على الحكم العطائية وبعضا من رسالة القشيري وبسطا صالحا من السير للحافظ الديبع وغيره من كتب الرقائق من الاحاديث وقرات عليه كثيرا من سور القران تبحرها على طريقة العبارة والاشارة بما يبهر العقول وقد كتب مكتبه كثيرا من العلوم الشرعيه ولم يتراعي مثله في حسن تصرفه في المعارف العلميه ولو شرحت ما له من الاحوال الذهبية لطالت ولو افردت جلا من علومه لعجز القلم عن احصائها اذا انوا لست ووالحقيقة يقصر هذا التعبير عن شرح فضائله قلمي ولساني ويضيق صدر هدره.

الاول

الاول قبل ان اظهار ما جنه من وصفه جناني وعلى الجملة فانه ملك العلم بازمته والعرفان بجملته وحريه والحمد لله الذي خلقه في احسن تقويم وحباه هذا الفضل العظيم انه ما شهدته خصوصا اذا خاطبته الا رايت العلم والعرفان يلوحان من شمائله ورايت اعيان علما الدهر عيالا على فضائله وقران نسخة المقري من وجهه والحافظ وافتضب شوارد الافاده من الفاظه وذكرت قول ابن الرومي

لولا عجائب صنع الله ما نبتت ... تلك الفضائل في لحم ولا عصب
وشب يقول لنا جهم ... ما كان احوج ذا الكمال الى ... نقص يوقيه من العين

ورايت منه رسالة الى شيخنا الحافظ عبد الرحمن بن سليمان وفي صدرها هذه الابيات وهي قوله

فيا اهل زبيد حبكم وودادكم ... عظيم واني في الوصال على العهد
لقد مال مني القلب شوقا اليكم ... وفيه امور زايدات على الحد
وراج من المولى الكريم عنايه ... تقربنا قربا نزيها عن البعد
ويجمع منا الشمل بيني وبينكم ... على بسط الانس المقدس عن ضد

وكان الجواب عليه من طريقه شيخنا المذكور

نسيم سحيق المسك ام عابق الند ... ام الروض فاحت منه رايحة الورد
نظام اتاني غاية اللطف ناشئا ... لطي الثنا من حضرة العلم الفرد
صفي الهوى شيخ الطريقة شيخنا ... حليف الوفا في القرب منا وفي البعد
يقول وقد زادت به مدة البقا ... بارض الحجاز فلا يصرح بالوعد
فيا اهل زبيد حبكم ووداكم ... عظيم واني في الوصل على العهد
فيا ايها الحبر العظيم الى متى ... تشوقنا بالوصل يا منتهى القصد
لعمرك ان الشوق منا لزايد ... يزيد اذا مرت عليه صبا نجد
واجهت ما في القلب اذ ملت نحوكم ... وفيه امور زايدة عن الحد
وما احسن الايام هذا واننا ... سررنا به اذ كان من خالص الود
ونسال باري الخلق يجمع بيننا ... على احسن الاحوال بالمصطفى المهدي
عليه صلاة الله ثم سلامه ... مع الال والاصحاب طرا بلا عد

وما قلته في مدة ايام وصوله الى مدينة صبيا ومثولي بين يديه واخذت عنه هذه القصيده

جهد المتيم بعد البين ان يقفا ... مستنطقا مربعا بالرقمتين عفا
الرم بها كعقد حل الجيب بها ... فيحوها القلب لا ينفك منعطفا
تلك المنازل لا اشرفي كاظمه ... ولا بعقيق قفيها ليت منحرفا
كيف السلو ولي عين مشهدة ... ومدمع عند ذكر الحبين قد وكفا
فلا تلمني اذا ذاب الفواد اسى ... لا يشتكي الوجد الا من لو عرفا
اريد قربهم والحظ يحرمني ... يا ليت حظي بوصل نحوهم سعفا
زاد الغرام مع تذكاري وصلهم ... فالشوق والسقم اللذان بي جرا التلفا
الى كم اشكو الهوى يا ي فاشتفي ... قول العذول الذي في حبهم عنفا
هل ذاق شكوى شجي العشق عن المه ... ما زاد دعواه بعد الهجر واسفا
واستوجف الحب قلبا قد اذيبه ... ركب الى سحكة المبعوث قد وجفا
ان كان ادنيت في ذكرى لغيركم ... فصرت ذكري لكم لا ينبغي خلفا
اني وحبكم لا ارتضي بدلا ... سواكم وبكم قلبي لقد كلفا
فانه مر البرق ليلا في دجى سحر ... الفا الفواد على ذكراك منعكفا

Copyright @King Saud University